تحولات الإعراب في السياق القرآني وأثرها الدلالي

إعـــداد

د/ عبد الله علي الهتاري

أستاذ اللغة والنحو المشارك

كلية الآداب والعلوم - قسم اللغة العربية- جامعة قطر

الملخص:-
يهدف هذا البحث إلى تناول ظاهرة أسلوبية في البيان القرآني تبرز من خلال تحولات الحركات الإعرابية في السياق القرآني من رفع إلى نصب أو جزم والعكس ، ومحاولة الوقوف على دلالات ذلك من خلال السياق .
واقتصر الباحث هنا على التحولات الحاصلة في السياق نفسه ،وذلك بأن يأتي في الكلام تركيب أو لفظ - مخالف في حكمه الإعرابي للحكم الإعرابي الذي سبقه، مع أن الكلام يشمله سياق نحوي واحد، ويمثل ذلك ظاهرة نحوية لافتة تساعد في دخول الخطاب دائرة الاحتمالات، وتدفع المتلقي إلى تلمس التأويلات المختلفة لعلة هذا التحول الإعرابي الملحوظ.
وقد جاء البحث في تمهيد ،وأربعة مباحث ،وخاتمة ،على النحو الآتي .

التمهيد:-
ارتبط الإعراب بالمعنى ارتباطاً وثيقاً، يقول ابن جني[1]: "والإعراب هو الإبانة عن المعاني بالألفاظ، ألا ترى أنك إذا سمعت أكرم سعيد أباه، وشكر سعيداً أبوه، علمت برفع أحدهما ونصب الآخر الفاعل من المفعول، ولو كان شرجاً واحداً لاستبهم أحدهما من صاحبه".

لذلك كل تحول في النسق الإعرابي يصاحبه تحول في المعنى قطعاً، "إذ المعنى هو الأساس والمنطلق في إعراب الجمل وتحليلها[2]"، فظاهرة التحول في الإعراب " ليست مجرد حركات إعرابية مخالفة، وإنما لها مقابلاتها المعنوية الكامنة في الضغط على مدلول الصفة المخالفة في إعرابها[3]".

وهنا تظهر مهمة النحوي المدرك لأسرار التراكيب ودلالاتها، في تأويل هذا التحول والوقوف على مكنوناته الدلالية، فالمعنى هو الموجه للإعراب يقول ابن جني[4]: "فإن أمكنك أن يكون تقدير الإعراب على سمت تفسير المعنى، فهو ما لا غاية وراءه، وإن كان تقدير الإعراب مخالفاً لتفسير المعنى، تقبلت تفسير المعنى على ما هو عليه، وصححت تقدير الإعراب".

يقول الدكتور سمير استيتية مبيناً أهمية الإعراب وعلاقته بالبلاغة[٥]: "الإعراب نفسه بليغ، وحسبُك أن تخبرك الحركة الإعرابية، بأن هذه الكلمة فاعل، وأن تلك مفعول به، وأن هذه الكلمة تتبع تلك وتصفها، أو أنها منقطعة عن التي قبلها؛ ليكون ذلك دليلاً على أن للإعراب وظيفة بلاغية تؤديها في اللسان العربي، بل يكفي أن تشير الحركة الإعرابية إلى عامل محذوف أو مقدَّر، ليكون لذلك أثر بلاغي واضح".

ويذكر أيضاً أن الإعراب قد يؤدي إلى تعدد المعنى للقول الواحد، فيقول[٦]: "وحسب الإعراب أن القول الواحد يمكن أن يتقلب فيه على معانٍ كثيرة، بدلاً من أن يكون للقول الواحد معنى واحد، كما هو الحال في سائر اللغات".

ويشير إلى أن الإعراب يمكن أين يكون باباً من أبواب الإبداع، فيقول[٧]: "ومن بلاغة الإعراب أنه قادر على أن يستخدم الملكات العقلية والقدرات التأويلية لدى العلماء والباحثين، أي: أنه يمكن أن يكون باباً من أبواب الإبداع والابتكار، مثلما هو قادر على أن يكون مؤشراً لمكنونات لغوية، وأسرار عظيمة في التركيب".

ويرد هذا النوع من التحول في السياق القرآني في صور متعددة، نعرض لأهمها[٨] على النحو الآتي:

المبحث الأول :تحولات الرفع.

تتعدد دلالات هذا التحول وأشكاله على النحو التالي:

أ. التحول عن الرفع على العطف للتشريك إلى النصب على التخصيص بالمدح.

ب. التحول عن الرفع على النعت إلى النصب على القطع للذم.

جـ. التحول عن الرفع على العطف أو الاستئناف إلى النصب على المعية.

د. التحول عن الرفع على الإخبار إلى الجزم على جواب الطلب.

ونبدأ عرض ذلك على النحو الآتي:

أ. التحول عن الرفع على العطف للتشريك إلى النصب على التخصيص بالمدح

من ذلك قوله تعالى: ﴿وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُواْ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاء والضَّرَّاء وَحِينَ الْبَأْسِ﴾ [البقرة: ١٧٧]. فنجد في هذه الآية التحول عن الرفع في

كلمة (المؤمنون) إلى النصب في (الصابرين) وكان القياس عطفها على سابقتها بالرفع فتكون (والصابرون).

وقد علل علماء اللغة والتفسير هذه المخالفة في الإعراب للفظة (الصابرين) فذكر الواحدي أن قوله (والصابرون) انتصب على المدح، وإن كان معطوفاً على مرفوع، لأن العرب إذا تطاول الكلام اعترضت فيه بالمدح أو الذم، فينصبون وإن كان حقه الرفع(٩).

وزاد الزمخشري الأمر توضيحاً فقال(١٠): "وأخرج (الصابرين) منصوباً على الاختصاص والمدح، إظهاراً لفضل الصبر في الشدائد ومواطن القتال على سائر الأعمال".

وهذا الرأي مذهب جمهور المفسرين(١١)، وهم في ذلك يصدرن عن آراء أئمة النحو المتقدمين، يقول الفرّاء(١٢): "والعرب تعترض من صفات الواحد إذا تطاولت بالمدح أو الذم، فيرفعون إذا كان الاسم رفعاً، وينصبون بعض المدح، فكأنهم ينوون إخراج المنصوب بمدح مجدَّد غير مُتْبَع لأوّل الكلام من ذلك قول الشاعر(١٣):

لا يَبْعَدَنْ قومي الذينَ هُم سُمُّ العُدَاة وآفةُ الجُزْرِ
النازلينَ بكُلِّ مُعْتَرَكٍ والطَّيِّبينَ (١٤) مَعَاقِدَ الأُزُرِ"

وهو رأي سيبويه يقول(١٥): "وسمعنا بعض العرب يقول: الحمدُ للهِ ربَّ العالمين، فسألت عنها يونس فزعم أنها عربية، ومثل ذلك قول الله عزوجل: ﴿لَّٰكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ [النساء: ١٦٢] فلو كان رفعاً كان جيّداً، فأما المؤتون فمحمول على الابتداء، وقال جل ثناؤه: "ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر ... والموفون بعهدهم إذا عاهدوا، والصَّابرين في البأساء والضَّرَّاء" ولو رفع (الصابرين) على أوّل الكلام كان جيداً، ولو ابتدأته فرفعته على الابتداء كن جيِّداً، وكما ابتدأت في قوله (والمؤتون الزكاة)... زعم الخليل أن نصب هذا على أنك لم

ترد أن تحدّث الناس ولاَ منْ تخاطب بأمر جهلوه، ولكنّهم قد علموا من ذلك ما قد علمت، فجعله ثناء وتعظيماً ونصبه على الفعل".

ويفهم من كلام سيبويه أن هذا الأسلوب قد خرج عن الشكل العادي الخبري إلى أسلوب انفعالي عاطفي وهو أسلوب المدح، فقام المتكلم بتغيير أسلوبه الإعرابي؛ ليُعبّر عن هذا التغيير[١٦].

فالمولى –عزوجل– لم يقصد مطلق الخبر عندما تحدث عن الصابرين في البأساء والضراء، وإنما قصد على وجه التخصيص المدح والثناء على هذه الفئة، لذا عدل عن الرفع بالعطف على التشريك في الحكم والمساواة في الجزاء إلى النصب، وفيه مزيد حث على الصبر على البلاء.

وتمثيل ذلك على النحو الآتي:

التركيب (المتوقع)	والموفون بعهدهم إذا عاهدوا	والصّابرون
حالة الإعراب	مرفوع	مرفوع
الدلالة	إخبار	إخبار
التحول الحاصل في التركيب الحالي	والموفون بعهدهم إذا عاهدوا	والصّابرين
حالة الإعراب	مرفوع	منصوب
التحول في المعنى	إخبار	اختصاص (للمدح والتعظيم)

ونحو ما سبق قوله تعالى ﴿لَّـٰكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [النساء: ١٦٢].

فقد حصل في هذا السياق تحول في الإعراب، إذ القياس أن ترد كلمة (والمقيمين) مرفوعة، لأنها معطوفة على (الراسخون)، لكن السياق عدل عن ذلك إلى النصب ليوافق ذلك تحول في المعنى عن الإخبار المحض إلى التخصيص بالمدح والثناء لمقيمي الصلاة.

يقول ابن هشام في شرح شذور الذهب[١٧]: "إن المقيمين نصب على المدح، وتقديره وأمدح المقيمين، وهو قول سيبويه[١٨] والمحققين، وإنما قطعت هذه الصفة عن بقية الصفات لبيان فضل الصلاة على غيرها".

وجاء في (معترك الأقران) للسيوطي[١٩]:"قطع النعوت في مقام المدح والذم أبلغ من إجرائها، قال الفارسي: إذا تكررت صفات في معرض المدح أو الذم فالأحسن أن يخالف في إعرابها؛ لأن المقام يقتضي الإطناب، فإذا خولف في الإعراب كان المقصود أكمل؛ لأن المعاني عند الاختلاف تتنوع وتتفنن، وعند الاتحاد تكون نوعاً واحداً".

ب. التحول عن الرفع على النعت أو الخبر إلى النصب على معنى القطع للذم

من ذلك قوله تعالى: ﴿وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ * فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ [المسد: ٤-٥]. ففي هذا السياق تحول عن الرفع في لفظة (حمالة) لكونها نعتاً لـ (امرأته)[٢٠] إلى النصب أو خبراً إلى النصب على الذم، يقول ابن خالويه (ت ٣٧٠هـ)[٢١]: "أما من قرأ[٢٢] قوله سبحانه: (حمَّالةَ) بالنصب، فقد قطع كلامه ونصب على الذم، وجعلها مفعولاً به لفعل محذوف، تقديره (أعني) أو (أذُم) إذ العرب تنصب بالمدح والذم".

ويقارن مكي بن أبي طالب (ت ٤٣٧هـ) بين الرفع والنصب فيقول[٢٣]: "وفي الرفع أيضاً ذم، لكن هو في النصب أبين؛ لأنك إذا نصبت لم تقصد إلى أن تزيدها تعريفاً وتبييناً، إذ لم تجر الإعراب على مثل إعرابها، إنما قصدت إلى ذمها، لا لتخصيصها من غيرها بهذه الصفة التي اختصصتها بها". ففي النصب (حمالة) مبالغة في الذم، ولذا فقد تغير إعرابها تبعاً لتغير أسلوبها من الجر المحض إلى الذم[٢٤].

جـ. التحول عن الرفع على العطف أو الاستئناف إلى النصب على المعية

من ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىَ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى النَّارِ فَقَالُواْ يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلاَ نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنعام: ٢٧]. ففي هذا السياق نلحظ التحول إلى النصب في الفعلين (ولا نكذبَ ... ونكونَ) ... ولو مضى السياق على نسق واحد من الحركة الإعرابية لكان (ولا نكذِّبُ ... ونكونُ) بالرفع لكونهما معطوفين على الفعل المرفوع (نُردُّ). وهي قراءة نافع وأبي عمرو وابن كثير والكسائي، والنصب قراءة حمزة وحفص عن عاصم[٢٥].

ويبرز التحول عن الرفع إلى النصب في قراءة حمزة وحفص، ولكي ندرك سر هذا التحول على هذا الوجه من القراءة، ينبغي أن نعرف أولاً المعنى بمقتضى قراءة الرفع التي جرت على نسق المطابقة في السياق، ثم نفسر التحول عن المطابقة وما يضفيه من دلالة في ذلك.

فقراءة الرفع تخرج على وجهين: **الأول:** أنها على عطف الفعلين على (نُردُّ) فيكون المعنى حينئذ أن الكفار تمنوا هذه الأمور الثلاثة الرد وعدم التكذيب بآيات ربهم، وكونهم من المؤمنين[٢٦].

والوجهالثاني: "أن يكون الفعلان مستأنفين، على معنى أنهم تمنوا الرَّدَّ وحده، ثم قالوا: ولا نُكذِّبُ ونكونُ من المؤمنين رُدِدْنا أم لم نرد"[٢٧].

وقد علل سيبويه الوجهين في الرفع في هذه الآية فقال[٢٨]: "فالرفع على وجهين: فأحدهما أن يشْرِكَ الآخِرُ الأوَّل، والآخر على قولك: دَعْني ولا أعُودُ، أي فإنِّي ممن

لا يعود، فإنّما يسألُ الترك وقد أوجب نفسه أن لا عودة له البتّة، ترك أو لم يترك، ولم يرد أن يسأل أن يجتمع له الترك وأن لا يعودَ"، ويكون معنى الآية على الوجه الثاني أنهم "أخبروا أنهم لا يكذبون بآيات ربهم، وأنهم يكونون من المؤمنين على كل حال، رُدُّوا أو لم يُردُّوا"[٢٩].

وعلى قراءة النصب التي نحن معنيون بمعرفة سر التحول فيها، يكون المعنى: أنهم تمنوا الرَّدَّ مع عدم التكذيب، وكونهم مؤمنين، لذلك عقب المولى عزوجل على قولهم هذا بقوله: ﴿ولو رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [الأنعام: ٢٨].

يقول ابن القيم[٣٠]: "فمعنى الآية أن هؤلاء المشركين لما وقفوا على النار وعاينوها، وعلموا أنهم داخلوها، تمنوا أنهم يردون إلى الدنيا فيؤمنون بالله وآياته، ولا يعودون إلى تكذيب رسله، فأخبر سبحانه أن الأمر ليس كذلك، وأنهم ليس في طبائعهم ولا سجاياهم الإيمان بل سجيتهم الكفر والشرك والتكذيب وأنهم لو ردُّوا لكانوا بعد الرَّدِّ كما كانوا قبله، وأخبر أنهم كاذبون في زعمهم أنهم لو ردُّوا لآمنوا وصدَّقوا".

فيكون الفعلان منصوبين بإضمار "أن" بعد الواو التي بمعنى "مع" كقولك: ليت لي مالاً وأتصدَّقَ منه"[٣١].

ومعنى القراءة على نصب الفعلين أنهم تمنوا الرَّدَّ على أن يكونوا في حالة الرَّدِّ غير مكذبين ومن المؤمنين كذلك[٣٢].

وألمح من هذا السياق، بتعدد أوجه الإعراب المختلفة له، أن الكفار كانت لهم عند مشاهدة العذاب عدة أمنيات، وليست أمنية واحدة، وقد أخبر القرآن عنها كلها.

فكأنهم عندما شاهدوا العذاب ابتداء فزعوا فتمنوا الرَّدَّ إلى الدنيا، وهم في لحظة الفزع والذهول قد آمنوا بما شاهدوا ولم يعودوا من المكذبين بآيات ربهم سواء رُدُّوا أم لم يُرَدوا، فلا علاقة للردِّ حينئذ بإيمانهم. وهذا ما توحي به قراءة الرفع في أحد وجهيها (وهو الاستئناف)، في قوله تعالى: ﴿يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلاَ نُكَذِّبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

ثم تمنوا الرَّدَّ مصطحبين في معيتهم هذه القناعة التي رسخت لديهم من المشاهدة والعيان ليعملوا بها في الدنيا، وهو ما أشار إليه القرآن في موضع آخر بقوله: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُؤُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ١٢].

وهو ما توحي به قراءة التحول إلى النصب (على المعية) بقوله تعالى: ﴿يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلاَ نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

ثم عندما يئسوا من الرجوع إلى الدنيا، وأن ذلك يستحيل، لهجوا بالحسرة والندامة متمنين ثلاثة أمور: الرد إلى الدنيا وأنهم ما كانوا كذّبوا بآيات ربهم، وأنهم كانوا مؤمنين، وهو ما توحي به قراءة الرفع على الوجه الآخر (وهو العطف)، فكل وجه من وجوه الإعراب دل على معنى جديد لا يؤديه سواه، وهذه الأوجه بمجموعها تتكامل في وصف مشهد الحسرة والعذاب.

د. التحول عن الرفع على الإخبار إلى الجزم على جواب الطلب

من ذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ **تُؤْمِنُونَ** بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ **وَتُجَاهِدُونَ** فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * **يَغْفِرْ** لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ...﴾ [الصف: ١٠-١٢].

نجد الفعلين (تؤمنون) و(تجاهدون) مرفوعين، في حين ورد الفعل (يغفرْ) مجزوماً، وقد علل العلماء جزمه في هذا السياق؛ لكونه وقع جواباً للجملة الخبرية المقصود بها الأمر، أي: آمنوا بالله ورسوله وجاهدوا يَغْفِرْ لكم(٣٣).

وأفاد الجزم للفعل (يَغْفِرْ) ترتبه على ما قبله ترتب النتيجة على السبب. وفي ذلك مزيد تشويق للمؤمنين وتحفيز للمسارعة إلى تنفيذ الفعل، ولو أتى به مرفوعاً (يَغْفِرُ لكم...) لكان خبراً محضاً لا تعلق له بما قبله، وجزمه دل على أن ما قبله طلب، وأن الفعل مترتب عليه.

المبحث الثاني :تحولات النصب .

وتتنوع أشكال هذا التحول، فتختلف دلالاته تبعاً لاختلاف أشكاله، وسنتناول بعض هذه الأشكال على النحو الآتي:

أ. التحول عن النصب على الفعلية إلى الرفع على الاسمية.

ب. التحول عن النصب على العطف للتشريك إلى الرفع على الاستئناف.

جـ. التحول عن النصب على التعليل إلى الرفع على الإخبار.

د. التحول عن النصب على سبيل عطف المفردات إلى الرفع على سبيل عطف الجمل.

هـ. التحول عن النصب على سبيل عطف المفردات إلى الجزم على سبيل عطف الجمل.

وسنعرض لبعض النماذج لكل شكل من هذه الأشكال متناولين تلك النماذج بالتحليل؛ للوقوف على أبعادها الدلالية، وذلك على النحو التالي:

أ. التحول عن النصب على الفعلية إلى الرفع على الاسمية

من ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُواْ سَلاَماً قَالَ سَلاَمٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَاء بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾ [هود: ٦٩].

وقوله تعالى -أيضاً: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ * إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَاماً قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ * فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاء بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾ [الذاريات: ٢٤-٢٦].

فالتحول إلى رفع (سلام) في مقولة إبراهيم -عليه السلام-، دون نصبها كما وردت في مقولة الرسل، هو تحول عن فعلية الجملة إلى اسميتها، إذ أنها في حال النصب مصدر منصوب بفعل محذوف وتقديره: نسلم سلاماً، أما من حال الرفع فهي: إما خبر لمبتدأ محذوف، أو مبتدأ محذوف خبره، والتقدير: أمري سلام أو سلام عليكم[٣٤].

وقد علل علماء التفسير والبلاغة هذا التحول تعليلاً يقوم على أساس الفرق الدلالي بين الجملة الفعلية الدالة على الحدوث والتجدد، والجملة الاسمية الدالة على الثبوت والاستقرار. يقول الزمخشري[٣٥]: "رفع السلام الثاني للدلالة على أن إبراهيم -عليه

السلام- حيّاهم بتحية أحسن من تحيّتهم؛ لأن الرفع دل على معنى ثبات السلام لهم دون تجدُّده وحدوثه".

ويرى ابن المنير[٣٦] أنه "لما كان الرفع دالاً على الثبوت مجرَّداً عن قيد التجدد والحدوث، ناسب أن يقصد به الثبات والدوام بمعونة المقام، بخلاف النصب المستلزم لتقدير الفعل الدال بوضعه على الحدوث والتقضي".

وقد التمس السهيلي معنىً مغايراً لما هو معهود عند البلاغيين والمفسرين في هذا السياق من مفاضلة السلامين؛ لاختلاف التعبير بالاسمية والفعلية عنهما.

فيرى أن الأول قد ورد منصوباً[٣٧]؛ "لأنه لم يقصد الحكاية، ولكنه جعله قولاً حسناً وسمّاه سلاماً؛ لأنه يؤدي معنى السلام في رفع الوحشة ووقوع الأنس، وحكى عن إبراهيم -عليه السلام- قوله، فرفع بالابتداء، وحصل من الفرق بين الكلامين في حكاية هذا ورفعه ونصب ذلك، إشارة لطيفة وفائدة شريفة، وهو أن السلام من دين الإسلام، والإسلام ملة إبراهيم -عليه السلام-، وقد أمرنا بالاتباع والاقتداء به، فحكى لنا قوله، ولم يحك لنا قول أضيافه، إذ لا فائدة في تعريف كيفيّته، وإنما الفائدة في تبيين قول إبراهيم وكيفية تحيته، ليقع الاقتداء به، وأخبر عن قول الأضياف على الجملة، لا على التفصيل، وعن قول إبراهيم -عليه السلام- مفصلاً محكياً لهذه الحكمة، والله أعلم".

ودلالة السياق تحتمل كل ما سبق ذكره، فيكون التحول عن النصب إلى الرفع في هذا السياق قد أفاد الدلالات التالية:

أولاً: دلت تحية النبي بالرفع على أنه حيّاهم بأحسن من تحيتهم؛ لدلالة الثبوت والاستقرار في الجملة الاسمية، وهذا ينسجم مع قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيْتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾ [النساء: ٨٦].

ثانياً: يشير الدكتور سمير استيتية إلى ملحظ دلالي جديد في الآية فيقول[٣٨]: "وإذا نظرنا إلى المسألة من زاوية أخرى، انتهينا إلى أن الملائكة سلمت على إبراهيم -عليه السلام- بما يناسب طبيعة الإنسان من التجدد والتغير، فهو سلام متجدِّد، وأن

إبراهيم -عليه السلام- ردَّ عليهم التحيَّة بما يناسب خلق الملائكة من الثبوت والاستمرار وعدم التغير".

ثالثاً: دلّت الجملة الفعلية على الندب والاستحباب، فابتداء السلام مندوب، وردُّه واجب، فكان الرَّد من النبي إبراهيم -عليه السلام-، جملة اسمية، وهي ترد في سياق الوجوب والفرض، إذ يرجح الرفع فيما سبيله الفرض والواجب، والنصب فيما له دلالة على المندوب(٣٩).

رابعاً: حكى التنزيل تحية الملائكة بالمعنى؛ وذلك لأن معرفة لفظها لا يتعلق به حكم أو اقتداء، في حين أنه حكى تحية النبي إبراهيم -عليه السلام- بنصه ولفظه؛ للاقتداء به في العمل، والعناية بتحيته والاهتمام.

ونخلص في هذا السياق إلى القول إن هاتين الحركتين الإعرابيتين قد أدتا إلى انفتاح دلالي تتعدد فيه المعاني ويتسع فيه التأويل، يقول الدكتور سمير استيتية(٤٠): "وهكذا تكون الحركتان الإعرابيتان في هذه الآية الكريمة قد أشارتا إلى هذه المعاني كلها، وربما غيرها مما لم نقف عليه، وهذا لا يعني أن إبراهيم قد رفع، وأن الملائكة قد نصبت، بل يعني حواراً فيه كل المعاني التي ذكرتها، ولخصتها الآية الكريمة بحركة نصب، وحركة رفع، أليست هذه هي قمة البلاغة، وأسمى دراجاتها، وأرقى منازلها؟"

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُواْ السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللّهِ هِيَ الْعُلْيَا﴾ [التوبة: ٤٠].

ففي قوله تعالى: "وكلمةُ الله هي العليا برفع (كلمةُ) على الابتداء تحول إلى الجملة الاسمية عن نمط الجملة الفعلية السابقة عليها في السياق (وجعل كلمةَ الذين كفروا السفلى).

وندرك سر هذا التحول القرآني من كون الجملة الاسمية دالة على ثبوت الوصف واستقراره، فعلو كلمة الله -عزوجل- ثابت مستمر في كل زمان ومكان. وهذا الذي نفهمه من عدم عطف لفظة (وكلمة الله) على ما قبلها فتكون جملة فعلية، وإنما

العطف هنا عطف جملة على جملة لا عطف مفرد على مفرد؛ للنكتة البلاغية المذكورة.

ولو عطف (كلمة الله) على (كلمة الذين كفروا) لدل السياق على أن علو كلمة الله مجعول حادث، أي: أنَّ علوها حادث متجدد، وذلك يفهم من دلالة الفعل على التجدد والحدوث، وأنه قد مر على كلمة الله أوقات لم تكن عليا.

يقول ابن عاشور(٤١): "وجملة "وكلمة الله هي العليا" مستأنفة بمنزلة التذييل للكلام؛ لأنه لما أخبر عن كلمة الذين كفروا بأنها صارت سفلى، أفاد أن العلاء انحصر في دين الله وشأنه، فضمير الفصل مفيد للقصر، ولذلك لم تعطف كلمة الله على كلمة الذين كفروا، إذ ليس المقصود إفادة جعل كلمة الله عليا، لما يشعر به الجعل من إحداث الحالة، بل إفادة أن العلاء ثابت لها ومقصور عليها، فكانت الجملة كالتذييل لجعل كلمة الذين كفروا سفلى. ومعنى جعلها كذلك: أنه لما تصادمت الكلمتان وتناقضتا، بطلت كلمة الذين كفروا، واستقر ثبوت كلمة الله".

ويرد السؤال هنا لماذا لم يأتِ التعبير القرآني برفع (كلمةَ الذين كفروا) لتكون جملة اسمية تدل على ثبوت تسفل كلمة الكفر على الدوام، ويكون بذلك قد قابل بين ثبات تسفلها ودوام علو كلمة الله -عزوجل-؟

وقد أجاب عن ذلك أبو الفضل القرشي، فقال(٤٢): "إن الآية لو جاءت على هذا النحو (أي: من غير جعل)، لأفادت أن كلمة الكفر في نفسها سافلة وليس هذا هو المراد، بل المراد أن تسفلها قد حصل ببركة النبي ﷺ".

ونلحظ أيضاً في هذا السياق تقابلاً لطيفاً بين الجملتين:

فقوله تعالى: (وجعل كلمةَ الذين كفروا السفلى)، تقابل (وكلمةُ اللهِ هي العليا)، وداخل هذه المقابلة توجد الثنائيات التالية:

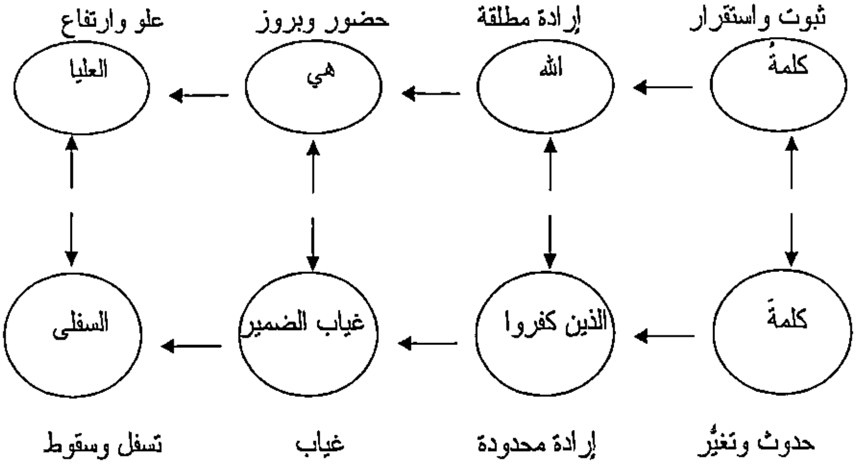

وجاء الرسم في كلمتي (السفلى ↔ العليا) في غاية الإعجاز والبيان، إذ [السفلى] الألف فيها مقصورة، إشارة إلى أن كلمة الكفر مقصورة في مبناها ومعناها، و[العليا] بالألف الممدودة، إشارة إلى امتداد كلمة الله وعلوها وارتفاعها.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩].

فقد جاءت كلمة (أحياءٌ) مرفوعة، وحقها النصب إذ هي معطوفة بـ (بل) على (أمواتاً)، لكنها جاءت مرفوعة على تقدير (بل هم أحياءٌ) فـ (أحياءٌ) خبر لمبتدأ محذوف، ولم يقل: (بل أحياءً)، فعدل عن النصب إلى الرفع وذلك أن الرفع في تقدير جملة اسمية، وهي تفيد الثبوت والاستقرار، فحياة الشهداء عند ربهم ثابتة لا شك فيها، مستقرة لا تبديل لها، ومستمرة لا انقطاع فيها. في حين لو جاء التعبير بالنصب (بل أحياءً) لكان التقدير على إعادة العامل، ويكون التقدير بجملة فعلية، أي: بل احسبهم أحياء(٤٣).

والمقام مقام يقين، فلا يُؤمَر فيه بمحسبة، ولا مجال فيه للحسبان والشك، وقد جاءت مادة "حسب" في القرآن الكريم في سياق الشك واعتقاد ما هو خلاف الحقيقة نحو قوله تعالى: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾ [النمل: ٨٨]. وقوله تعالى: ﴿وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّناً وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٥] في حين دل التحول إلى الرفع على الثبوت واليقين.

ب- التحول عن النصب على العطف للتشريك إلى الرفع على الاستئناف

كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ*قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ * قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ*وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ﴾ [الشعراء: ١٠-١٣].

إذ حصل تحول عن النصب بالعطف على المضارع المنصوب (يكذبون) الذي أصله (يكذبونني)، فيرد السياق (ويضيقَ صدري ولا ينطلقَ لساني ...)، فحصل التحول عن النصب إلى الرفع (ويضيقُ صدري ولا ينطلقُ لساني).

وذلك على تقدير أنه معطوف على خبر (إنّ)، أو على الاستئناف، فيكون المعنى إنِّي خائف، وضيِّقُ الصدر، وغيرُ منطلق اللسان، فهذه الصفات موجودة فيه أصلاً قبل الرسالة، وهي أكثر ما تكون حين إرساله إلى قومه، فبيَّن السياق ثقل الأمر على موسى -عليه السلام-.

يقول الزمخشري(٤٤): "و(يضيقُ) و(ينطلقُ) بالرفع؛ لأنهما معطوفان على خبر (إنّ) والنصب لعطفهما على صلة (أن)، والفرق بينهما في المعنى، أن الرفع يفيد أنّ فيه ثلاث علل: خوف التكذيب، وضيق الصدر، وامتناع انطلاق اللسان. والنصب على أن خوفه متعلق بهذه الثلاثة".

جـ- التحول عن النصب على التعليل إلى الرفع على الإخبار

من ذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاء إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الحج: ٥].

نلحظ في هذا السياق مجيء الفعل (نقرُّ) مرفوعاً، والقياس يقتضي نصبه لكونه معطوفاً على فعل منصوب قبله (لنبينَ) لكن التحول إلى الرفع كان بقصد الإخبار لا التعليل. يقول الزمخشري[٤٥]: "فالقراءة بالرفع إخبار بأنه يقر في الأرحام ما يشاء أن يقرّه من ذلك إلى أجل مسمى ...، والقراءة بالنصب (نقرَّ) تعليل معطوف على تعليل، ومعناه: خلقناكم مدرجين هذا التدريج لغرضين: أحدهما: أن نبين قدرتنا، والثاني: أن نقر في الأرحام من نقر، حتى يولدوا وينشؤا، ويبلغوا حدَّ التكليف فأكلفهم".

د. التحول عن النصب على سبيل عطف المفردات إلى الرفع على سبيل عطف الجمل

من ذلك قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاء فَيَشْفَعُواْ لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ [الأعراف: ٥٣].

في هذا السياق نجد التحول بارزاً في مجيء الفعل (نُردُّ) مرفوعاً، وحقه النصب لكونه معطوفاً على فعل منصوب (فيشفعوا) وقد عللوا سبب الرفع – تعليلاً نحويا– بأنه عُدِلَ عن عطف المفردات على بعضها إلى عطف الجمل، فهو من قبيل عطف جملة على جملة.

يقول الفرَّاء[٤٦]: "وقوله (فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا أو نُردُّ) ليس بمعطوف على (فيشفعوا)، إنما المعنى –والله أعلم– أو هل نُردُّ فنعمل غير الذي كنا نعمل، ولو نصبت (نردُّ) على أن تجعل (أو) بمعنى حتى، كأنه قال: فيشفعوا لنا أبداً حتى نُردَّ فنعمل).

وإلى قول الفراء ذهب الزمخشري فقال[٤٧]: "(نردُّ) جملة معطوفة على الجملة التي قبلها، داخلة معها في حكم الاستفهام، كأنه قيل: هل لنا من شفعاء أو هل نردُّ، ورافعه وقوعه موقعاً يصلح للاسم، كما تقول ابتداء: هل يضرب زيد، ولا يطلب له فعل آخر يعطف عليه، فلا يقدر: هل يشفع لنا شافع أو نرد".

ولا نكتفي بالتعليل النحوي في هذا السياق، وإنما نبني عليه التعليل الدلالي المرتبط بالإعراب. فيمكننا القول إن التحول إلى الرفع دل على أنهم "تمنوا الشفعاء والرَّد، وقطعوا بالشفاعة وعمل ما لم يكونوا يعملونه، ولو نصبَ (أو نُرَدَّ) لكانوا قد تمنوا الشفعاء وحدهم، ولكنهم قطعوا بأحد الأمرين إما الشفاعة وإما الرَّد"(٤٨).

ويمكننا تمثيل دالَّة التحول في هذا الإعراب على النحو الآتي:

ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وعَمِلَ صَالِحاً فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [المائدة: ٦٩].

فمقتضى السياق أن ترد كلمة (الصابئون) منصوبة، لأنها معطوفة على اسم (إنَّ)، لكن السياق عدل إلى الرفع، وذهب سيبويه إلى أن كلمة (الصابئون) مرفوعة على الابتداء، وأن في الكلام تقديماً وتأخيراً، يقول(٤٩): "وأما قوله -عزوجل- "والصابئون" فعلى التقديم والتأخير، كأنه ابتدأ على قوله: "والصابئون" بعد ما مضى الخبر، وعلى هذا يكون الخبر محذوفاً، وتكون الجملة معطوفة -على نية التأخير- على موضع إنَّ واسمها وخبرها، أي: كأنه قيل: إنَّ الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى حُكمهم كذا، والصابئون كذلك".

واستدل بقول بشر بن أبي خازم(٥٠):

وَإِلا فَاعْلَمُوا أَنَّا وَأَنْتُم ... بُغَاةٌ مَا بَقِينَا في شِقَاقِ

"أي: فاعلموا أنا بغاة وأنتم كذلك".

ويؤيد الزمخشري هذا الرأي لسيبويه، ويستثمره ويعلله تعليلاً طريفاً مبيِّناً النكتة في التقديم وحقه التأخير بقوله(٥١): "فإن قلت: ما التقديم والتأخير إلا لفائدة، فما فائدة هذا التقديم؟ قلت: فائدته التنبيه على أن الصَّابئين يتاب عليهم، إن صح منهم الإيمان والعمل الصالح فما الظن بغيرهم، وذلك أن الصابئين أبين هؤلاء المعدودين ظُلالاً وأشدَّهم غيًّا، ما سموا صابئين إلا لأنهم صبئوا عن الأديان كلها: أي خرجوا؛ كما أن الشاعر قدم قوله وأنتم؛ تنبيهاً على أن المخاطبين أوغل في الوصف بالبغاة

من قومه، حيث عاجل به قبل الخبر الذي هو بغاة، لئلا يدخل قومه في البغي قبلهم مع كونهم أوغل فيه منهم وأثبت قدماً".

وما ذهب إليه الزمخشري في تعليل التقديم حسن، لكنه لا يعلل بلاغة الرفع على وجه الخصوص، إذ يمكن التقديم مع النصب كما ورد في سورة الحج[٥٢] قوله تعالى﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [الحج: ١٧].

ولفهم -كما يقول ابن المنير- من تقديم ذكرهم على النصارى ما يفهم من الرفع، من أن هؤلاء الصابئين وهم أوغل الناس في الكفر يتاب عليهم، فما الظن بالنصارى، ولكان الكلام جملة واحدة بليغاً مختصراً، والعطف إفرادي، فلِمَ عدل إلى الرفع وجعل الكلام جملتين، وهل يمتاز بفائدة على النصب والعطف الإفرادي[٥٣]؟

ويجيب ابن المنير عن ذلك[٥٤] بأنه لو نصبه وعطفه لم يكن فيه إفهام خصوصية لهذا الصنف؛ لأن الأصناف كلها معطوف بعضها على بعض عطف المفردات، وهذا الصنف من جملتها والخبر عنها واحد، وأما مع الرفع فينقطع عن العطف الإفرادي، وتبقى بقية الأصناف مخصصة بالخبر المعطوف به، ويكون خبر هذا الصنف لمنفرد بمعزل، تقديره والصابئون كذلك، فيكون كأنه مقيس على بقية الأصناف وملحق بها".

فكان التحول عن النسق الإعرابي في هذه الآية على النحو الآتي:

التركيب المفترض	←	إنّ	الذين آمنوا	والذين هادوا	والصَّابئين	والنصارى
		↓	↓	↓	↓	↓
حالة الإعراب		أداة نصب	منصوب	منصوب	منصوب	منصوب
التركيب الحالي (المتحول)		إنّ	الذين آمنوا	والذين هادوا	والصَّابئون	والنصارى
		↓	↓	↓	↓	↓
حالة الإعراب	←	أداة نصب	نصب	نصب	مرفوع	منصوب
					↓	
موضع التحول	←	(تحول عن النصب إلى الرفع)				
تعليله	←	(مقطوع عن العطف الإفرادي إلى عطف الجمل)				
دلالته	←	[لفت انتباه المتلقي إلى خصوصية (الصابئون)، وأنه يتاب عليهم إذا أمنوا، من باب أولى غيرهم]				

هـ. التحول عن النصب على سبيل عطف المفردات إلى الجزم على سبيل عطف الجمل

من ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ [المنافقون: ١٠].

ففي هذا السياق نجد الفعل المضارع (أصَّدقَ) قد جاء منصوباً، وعطف عليه الفعل المضارع المجزوم (أكُنْ) وحق هذا الأخير أن يرد منصوباً؛ لأنه معطوف على فعل منصوب، ولكن السياق عدل عن النصب إلى الجزم.

وقد اختلفت آراء المفسرين والنحاة في تأويل ذلك، فذهب سيبويه والخليل إلى أن هذا من قبيل العطف على التوهم. يقول سيبويه(٥٥): "وسألت الخليل عن قوله عزوجل: "فأصدَّقَ وأكُنْ من الصَّالحين" فقال: هذا كقول زهير(٥٦):

بَدَا ليَ أَنِّي لَسْتُ مُدْرِكَ مَا مضَى وَلاَ سَابِقٍ شَيْئاً إِذَا كَانَ جَائِيا

فإنما جرُّوا هذا لأن الأوَّل قد يدخله الباء، فجاءوا بالثاني وكأنهم قد أثبتوا في الأول الباء، فكذلك هذا لما كان الفعل الذي قبله قد يكون جزماً لا فاء فيه تكلموا بالثاني، وكأنهم قد جزموا قبله فعلى هذا توهموا هذا".

وذهب بعضهم إلى أنه من قبيل العطف على المحل، يقول ابن هشام(٥٧): "وقال السيرافي والفارسي: هو عطف على محل فأصدق".

وقال الزمخشري مثل السيرافي والفارسي وزاد فقال(٥٨): "وقريء (وأكُنْ) عطفاً على محل (فأصَّدَّقَ) كأنه قيل: إن أخرتني أصدّق وأكن".

وسائر النحاة ممن عنوا بهذا الموضع داروا في فلك هذه التعليلات، وخلاصة ما ذكر أن مرد الجزم في (أكن) أنه معطوف على التوهم أو على المحل(٥٩).

والمراد بالتوهم عند سيبويه والخليل في هذا الموضع ومن أخذ بقولهما، أن الفعل (أصدق) في هذا الموضع لو لم تذكر الفاء لكان مجزوماً(٦٠) فجاء جزم (اكن) على توهم جزم الفعل أصدق. يقول الفرّاء(٦١): كيف جزم (وأكن) وهي مردودة على فعل منصوب؟ فالجواب في ذلك أن (الفاء) لو لم تكن في فأصَّدَّقَ كانت مجزومة، فلما رُددت (وأكن) رُدَّت على تأويل الفعل لو لم تكن فيه الفاء".

ويرى الباحث أن القول بـالعطف علـى التـوهم لا ينبغـي ذكـره فـي حـق القـرآن، إذ العطف على التوهم يوهم بالخطأ، وهذا يقع فـي كـلام البشـر، أمـا فـي كـلام المـولى -عزوجل- فلا يكون، فلا توهم في الكتاب العزيز.

ويرى الدكتور سمير استيتية، أن (الفاء) في هـذا السـياق عطفـت جملـة علـى جملـة لا فعلاً على فعل، يقول[٦٢]: "والآيـة -فيمـا أرى- قسـمان: أمـا أولهمـا فإنشـائي طلبـي، وهو: (لولا أخرتني إلى أجـل قريـب فأصـدَّق) فالفـاء سـببيَّة، والفعـل منصـوب بهـا مباشرة، أو بأن مضمرة (على الخلاف أيضـاً)، وهـذا القسـم قـائم بذاتـه مسـتقل عمـا بعده، والقسم الثاني إخباريِ لا طلبي، وهو: (وأكـن مـن الصَّـالحين) وفـي اعتقـادي أن مبدأ الخطأ في فهم هذه الآية، ناجم عن أن القـوم تصـوّروا أنهـا تعطـف الفعـل (أكـن) على الفعل (أصـدَّق)، وهـي فـي نظـري تعطـف الجملـة الإخباريـة علـى الإنشـائية الطلبية: (لولا أخرتني إلـى أجـل قريـب فأصَّـدَّق). وهـذا يقتضـي أن تكـون الجملـة المعطوفة وهي (وأكن من الصالحين) جملـة شـرطية كاملـة، حـذف منهـا أداة الشـرط وفعل الشرط، وبقي جوابه"، وتكون البنية الدلالية لهذه الآية كما يلي:

لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدَّقَ إن أخرتني أكُنْ من الصَّالحين	⟸	"لو آخرتني إلى أجل قريب فأصدَّقَ وأكـن مـن الصالحين"

ولكون الصلاح أهم من الصدقة، لأن الذي ينجـي مـن العـذاب كونـه مـن الصـالحين، "فعبر عن كونه من الصالحين بأسلوب الشرط (وأكن مـن الصـالحين)؛ لأنـه أقـوى فـي الدلالة على التعهد والتوثيق، فأعطى الأهم والأولـى أسـلوب الشـرط الـدال علـى القـوة في الأخذ على النفس والالتزام، وأعطى ما هـو دونـه فـي الأهميـة والأولويـة، أسـلوب التعليل ولم يجعلهما بمرتبة واحدة"[٦٣].

المبحث الثالث :تحولات الجر.

تتعدَّد أشكال هذا النوع من التحول على النحو التالي:

أ. التحول عن الجر على العطف إلى الرفع على الاستئناف.

ب. التحول عن الجر على العطف إلى النصب على المفعول به.

جـ. التحول عن الجر بالعطف على القريب إلى النصب بالعطف على البعيد.

وسنتناول هذه الأشكال محللين بعض النماذج على ذلك على النحو الآتي:

أ. التحول عن الجر على العطف إلى الرفع على الاستئناف

من ذلك قوله تعالى: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ * بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ * لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ *وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ *وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ *وَحُورٌ عِينٌ﴾ [الواقعة: ١٧-٢٢].

نلحظ في هذا السياق القرآني مجيء لفظة (وحورٌ) مرفوعة، مع أنها معطوفة على ما قبلها من الألفاظ المجرورة (بأكوابٍ وأباريق وكأسٍ... وفاكهةٍ ... ولحمٍ).

فكان القياس أن ترد مجرورة على ما قبلها بالعطف فتكون "وحورٍ عينٍ"[٦٤]، لكن السياق عدل عن الجر إلى الرفع.

وقد علل سيبويه الرفع فقال[٦٥]: "لما كان المعنى في الحديث على قولهم: لهم فيها، حمله على شيء لا ينقض الأول في المعنى".

"ويفهم من كلام سيبويه أن الرفع في الآية محمول على إضمار خبر يدل عليه قوله تعالى (يطوف عليهم ولدان مخلدون) فلا يحمل على معنى يطوف، وإنما على تقدير خبر، كقولنا (لديهم) أو (عندهم)، وبهذا التقدير يستقيم المعنى[٦٦]".

وما ذهب إليه سيبويه من تقدير خبر محذوف يستقيم مع دلالة السياق، فإنه يطاف بالأكواب والأباريق والفاكهة، ولكنه لا يطاف بالحور العين، فكان التقدير بالرفع (وعندهم حور عين) أو (لهم حور عين) وهذا المعنى ينسجم مع قوله تعالى في موضع آخر: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِن مَّعِينٍ * بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ * لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ * وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ﴾ [الصافات: ٤٥-٤٨].

وكأن السياق القرآني يوحي بالمفارقة في النعيم والتدرج فيه، فكل ما سبق ذكره من النعيم من ذكر الأكواب والأباريق والفاكهة واللحم كل ذلك يمثل نوعاً من النعيم؛ لذا شرك بينه في العطف، وجعل النعيم بالحور العين نعيماً قائماً بذاته، مستقلاً عن العطف على سابقه، فكان الاستئناف.

ب. التحول على الجر على العطف إلى النصب على المفعول به

من ذلك قوله تعالى: ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤاً﴾ [الحج: ٢٣]. نجد في هذا السياق أن لفظة (لؤلؤا) قد جاءت منصوبة وحقها الجر[٦٧] لكونها معطوفة على لفظة (أساورَ) المجرورة، وأما الفتحة التي في (أساور) فهي نيابة عن الكسرة؛ لأنها جمع تكسير على زنة (أفاعل) الممنوع من الصرف.

وقد ذهب بعضهم إلى أن (لؤلؤا) منصوبة بالعطف على محل (من أساور) فهو من قبيل العطف على المحل، وهذا كقولهم: (مررتُ بزيدٍ وعمرا)[٦٨]. ويرى آخرون أنها منصوبة بفعل محذوف تقديره: "ويعطون لؤلؤا"[٦٩].

"وهذا الرأي أوفق لسياق الآية الكريمة، وبه يحصل التحول في التركيب، كي يكون العطاء من الله –سبحانه– لأهل الجنة وافرا، فاللؤلؤ حلية بمفرده من غير الذهب، لأنه للزينة أصلا[٧٠]".

فيكون السياق قد أخبر عن تحليتهم بأساور من ذهب مرصعة باللؤلؤ، على قراءة الجر (من أساور من ذهب ولؤلؤ)، وأخبر أنهم يعطون أيضاً اللؤلؤ نفسه لكمال الزينة والعطاء، (والله أعلم).

جـ. التحول عن الجر بالعطف على القريب إلى النصب بالعطف على البعيد

من ذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فاغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُواْ بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَينِ﴾ [المائدة: ٦].

ظاهر الأمر يقتضي جر (وأرجلكم) لمجيئها بعد اسم مجرور و (رؤوسكم) والواو عاطفة، وهو ما وردت به القراءة الأخرى[٧١]، فدل النصب (وأرجلكم) على أنها معطوفة على ما قبلها لا على الرؤوس، وهو قوله (وجوهكم وأيديكم).

فيفهم من ذلك أن التحول عن الجر إلى النصب في هذه القراءة بيَّن أن حكم الأرجل هو الغسل، ولو جاء العطف بالجر فقط لكان المراد أن فرض الأرجل في الوضوء هو المسح فقط، عطفاً على الرؤوس في الحكم إذ حكمها المسح (وامسحوا برؤوسكم)، وأما قراءة الجر (وأرجلِكم) فقد وقف عندها علماء التفسير واللغة وقوفاً مطوَّلاً، وذهبوا في تخريجها كل مذهب(٧٢).

وأحسن ما وقفت عليه من تخريجات هي:

أولاً: تخريج بلاغي ذهب إليه الزمخشري في كشافه فقال(٧٣): "وقرأ جماعة وأرجُلكم بالنصب فدلّ على أن الأرجل مغسولة، فإن قلت: فما تصنع بقراءة الجر ودخولها في حكم المسح؟ قلت: الأرجل من بين الأعضاء الثلاثة المغسولة تغسل بصب الماء عليها، فكانت مظنّة للإسراف المذموم المنهي عنه، فعطفت على الثالث الممسوح لا لتمسح ولكن لينبه على وجب الاقتصاد في صبِّ الماء عليها".

ثانياً: ذهب بعضهم إلى أن كل قراءة أفادت حكماً مستقلاً، وأن هذا يشير إلى أن للرجلين حالتين، فإذا كانتا مكشوفتين ففرضهما الغسل، وإذا كانتا مستورتين جاز المسح عليهما، ويكون هذا دليلاً من القرآن على جواز المسح على الخفين إضافة إلى ما ورد من أدلة السنة على جواز ذلك. يقول ابن عربي (ت ٥٤٣هـ)(٧٤): "وجاءت السنة قاضية بأن النصب يوجب العطف على الوجه واليدين، ودخل بينهما مسح الرأس، وإن لم تكن وظيفته كوظيفتهما؛ لأنه مفعول قبل الرجلين لا بعدهما، فذكر لبيان الترتيب لا ليشتركا في صفة التطهير، وجاء الخفض ليبين أن الرجلين يمسحان على الاختيار على حائل، وهما الخفان بخلاف سائر الأعضاء، فعطف بالنصب مغسولاً على مغسول، وعطف بالخفض ممسوحاً على ممسوح، وصح المعنى فيه".

ثالثاً: العمل بالقراءتين معاً، والجمع بين حكميهما، وهو ما ذهب إليه الإمام الطبري (ت ٣١٠هـ) بقوله(٧٥): "والصواب من القول في ذلك أن الله أمر بعموم مسح الرجلين بالماء في الوضوء، كما أمر بعموم مسح الوجه بالتراب في التيمم، وإذا فعل ذلك بهما المتوضئ كان مستحقاً اسم ماسح غاسل؛ لأن غسلهما إمرار الماء عليهما

أو إصابتهما بالماء، ومسحهما إمرار اليد أو ما قام مقام اليد عليهما، فإذا فعل ذلك بهما فاعل، فهو غاسل ماسح".

المبحث الرابع :تحولات الجزم.

وهذا النوع من التحول يكون في الأفعال ويرد على نوعين هما:

أ. التحولعن جزم جواب الشرط إلى رفعه على الإخبار.

ب. التحول عن الجزم على العطف إلى الرفع على الإخبار.

ويمكننا تناول ذلك على النحو التالي:

أ. التحولعن جزم جواب الشرط إلى رفعه على الإخبار

من ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْماً وَلَا هَضْماً﴾ [طه: ١١٢].

وقوله تعالى: ﴿وأنَّا لمَّا سَمِعْنَا الهُدَى آمنَّا به فمن يُؤْمِنْ بربِّه فَلَا يَخَافُ بَخْساً وَلَا رَهَقًا﴾ [الجن: ١٣].

فقد عدل عن جزم فعل جواب الشرط إلى رفعه فقال (فلا يخافُ) ولم يقل (لا يخف)، كما هو الحال في قوله تعالى: ﴿وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات: ١٤]. إذ جاء جواب الشرط مجزوماً في قوله (لا يَلِتْكم).

وسر هذا التحول عن جزم جواب الشرط إلى رفعة بعد (فاء) الجواب، وذلك لتصبح الجملة اسمية فتكون أدلّ على ثبوت الوصف واستقراره.

يقول الزمخشري[٧٦]: "فإن قلت: أي فائدة في رفع الفعل وتقدير مبتدأ قبله حتى يقع خبراً له، ووجوب إدخال (الفاء) وكان ذلك كله مستغنىً عنه بأنه يقال: لا يَخَفْ؟

قلت: الفائدة فيه أنه إذا فعل ذلك فكأنه قيل: (فهو لا يخافُ)، فكان دالاً على تحقيق أن المؤمن ناج لا محالة، وأنه هو المختص بذلك دون غيره".

التحول عن الجزم على العطف إلى الرفع على الإخبار

من ذلك قوله تعالى: ﴿لِّلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٨٤].

نجد الفعل المضارع (يغفرُ) قد جاء مرفوعاً، وفي ذلك تحول عن الجزم عطفاً على جواب الشرط (يحاسبكم) إلى الرفع استئنافاً، والتقدير (فهو يغفرُ لمن يشاء)، ولو جرى السياق على نسق واحد من الإعراب لكان (فيغفرْ لمن يشاء، ويعذبْ من يشاء) بالجزم[٧٧].

وقد علل الدكتور سمير استيتية دلالة هذا التحول إلى الرفع فقال[٧٨]: "فالقراءة على الاستئناف المرفوع (فيغفرُ) تشير إلى إسناد المغفرة إليه، دون غيره -تعالى- بعد تمام الحساب، ولذلك كان التقدير: فهو -لا غير- يغفر لمن يشاء، ويعذب ما يشاء"؛ أي: دل التحول إلى الرفع على الاختصاص، فالله -عزوجل- هو المختص بالمغفرة وحده.

وعلل أيضاً قراءة الجزم، وهذه القراءة تمثل إطراداً في النسق الإعرابي، وتضفي دلالة أخرى، فيقول[٧٩]: "والقراءة بالجزم عطفاً على المجزوم (يحاسبكم) تهدف إلى إبراز ما تشير إليه (الفاء) من مباشرة وتعقيب من غير تراخ، وذلك من أجل إدخال الطمأنينة في نفوس المؤمنين، فكأن الآية تخبرهم بأن الله سيغفر لمن يشاء عقب الحساب مباشرة، دون أن يطول الزمن بين الحساب والمغفرة".

ومنه قوله تعالى: ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلاَّ أَذًى وَإِن يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الأَدُبَارَ ثُمَّ لاَ يُنصَرُونَ﴾ [آل عمران: ١١١].

فقد عدل عن جزم الفعل (ينصرون) عطفاً على جواب الشرط (يولوكم) إلى رفعه على تقدير: ثم (هم لا ينصرون). فأفاد ذلك دلالة الإطلاق، وهي أن عدو المسلمين مخذول دائماً، وغير منصور مطلقاً. ولو جاء الفعل مجزوماً على العطف، لدخلت جملة (لا ينصرون) في حيز الشرط، ولأصبح المعنى حينئذ، أن عدوهم غير منصور حالة مقاتلته المسلمين وتوليته الأدبار فقط.

وآثرت الصياغة في التركيب مجيء حرف العطف (ثـم)[٨٠] للدلالـة علـى التراخـي فـي الرتبة لا في الوجود؛ "لأن الإخبار بتسليط الخذلان علـيهم أعظـم مـن الإخبـار بتـوليتهم الأدبار[٨١]".

فصاحب التحول- هنا في التركيب عن الشـرط إلـى الإخبـار تحـول فـي المعنـى عـن التقييد إلى الإطلاق.

ويمكن تمثيل هذا التحول على النحو الآتي:

التركيب المتوقع	←	إنْ	يقاتلوكم	يولوكم	ثم	لا ينصروا
حالة الإعراب	←	أداة جزم	مجزوم	مجزم	عطف	مجزوم
الدلالة	←				التراخي الزمني	(دلالة التقييد (تقييد نفي النصر بالتولية)
التركيب الحالي	←	إن	يقاتلوكم	يولوكم	ثم	لا ينصرون
حالة الإعراب	←	أداة جزم	مجزوم	مجزوم	عطف	مرفوع
موضع التحول	←				↓	تحول عن الجزم إلى الرفع
الدلالة	←				عطف للتراخي الرتبي	دلالة الإطلاق (نفي النصر عنهم مطلقاً)

الخاتمة و أهم النتائج:-

في ختام هذا البحث، توصل الباحث إلى نتائج عدة من أهمها :

١- تحولات الإعراب في السياق القرآني هي من أبرز الظواهر الأسلوبية في التعبير القرآني، وتمثل مظهراً من مظاهر الإعجاز البياني فيه.

٢- السياق له دور بارز ومهم في تحديد الدلالة المناسبة لهذا التحول.

٣- من خلال تحليل سياقات التحول المتعددة في الإعراب في النص القرآني، تبين لنا أن كلتحول في المبنى يصحبه تحول في المعنى قطعاً.

٤- الإعراب يرتبط بالمعنى ارتباطاً وثيقاً، فالحركات الإعرابية هي دوالٌ على معانٍ مقصودة، وأن التحولات من الرفع إلى النصب أو الجر وغيرها من تحولات الإعراب ترتبط بالمعنى دون شك.

٥- ينبغي الربط بين البنية العميقة للتركيب والبنية السطحية؛ ليظهر من خلال ذلك جماليات التركيب، ووظيفته البلاغية.

٦- ظاهرة التحول والخروج عن مقتضى الظاهر هي وجه من وجوه شجاعة العربية وروعتها.

٧- أوحت هذه التحولات بدلالات نفسية، وتربوية،و فكرية، كما هو الحال في السياقات القرآنية التي تصف حال المؤمنين و المنافقين و الكفار، وكذلك الآيات التي خاطب المولى عز وجل فيها هذه الأصناف الثلاثة، فجاء التحول فيها يمثل أثراً نفسياً و يقوم التصور و الفكر.

٨- ولد التحول في السياقات القرآنية دلالات شرعية،و أحكاماً فقهية،مرجع الفهم فيها إلى اللغة والبيان.

٩- ينبغي توجيه التحول في الإعراب من خلال فهم السياق فهماً دقيقاً ،والبعد عن التأويلات البعيدة والشاذة التي لاتليق بالنص القرآني، كالقول بالتوهم الذي ذهب إليه بعض علماء اللغة .

١٠- يوصي الباحث بالاهتمام بالبحوثالنحوية وتوظيفها توظيفاً دلالياً، و ذلك من خلال التعامل مع النصوص عن قرب بالتحليل و التعليل،لا سيما النص القرآني المعجز في نظمه و معناه.

قائمة المصادر والمراجع :-

القرآن الكريم

- أثر التحويلات الأسلوبية في تغيير الإعراب في الآيات القرآنية والشواهد الشعرية، د. يحيى القاسم، مجلة أبحاث اليرموك، سلسلة الآداب واللغويات، المجلد الحادي عشر، العدد الأول، ١٩٩٣م.
- أحكام القرآن، أبو بكر محمد عبدالله المعروف بابن العربي (ت ٥٤٣هـ)، ت: علي محمد البجاوي، دار المعرفة، بيروت، د.ت.
- أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، د. حسن طبل، (د.ن)، ١٩٩٠.
- إملاء ما منَّ به الرحمن، أبو البقاء عبدالله بن الحسين العكبري (ت ٦١٦هـ)،
- ت: إبراهيم عطوه عوض، مصطفى البابي الحلبي، ط٢، ١٩٦٩م.
- البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، (ت ٧٥٤هـ)، ط٢، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٣م.
- البرهان في إعراب القرآن، أحمد ميقري، ت: د. حسن الأهدل، المكتبة العصرية، ٢٠٠١م.
- البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي (ت ٧٩٤هـ)، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٧٢م.
- البيان في غريب إعراب القرآن، ابن الأنباري (ت ٥٧٧هـ)، ت: عبدالحميد طه، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٠م.
- التحول في التركيب وعلاقته بالإعراب في القراءات السبع، عبدالعباسعبدالجاسم أحمد، أبو ظبي، ١٩٩٧م.
- تحولات البنية في البلاغة العربية، د. أسامة البحيري، دار الحضارة، مصر، ط١، ٢٠٠٠م.
- تفسير أبي السعود، المسمى بإرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود محمد بن محمد العمادي، (ت ٩٥١هـ)، دار المصحف، القاهرة، د.ت.

• تفسير التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م.
• تفسير الطبري، محمد بن جرير الطبري، (ت ٣١٠هـ)، دار المعرفة، بيروت، ط٢، ١٩٧٢م.
• تفسير القرآن العظيم، الحافظ عماد الدين بن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، ت: محمد إبراهيم البنا، مؤسسة علوان والمنار، بيروت، ط١، ١٩٩٨م.
• التفسير القيم، ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، جمعه محمد أويس الندوي، ت: محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٨م.
• التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية، د. أحمد سعد محمد، مكتبة الآداب، ط٢، القاهرة، ٢٠٠٠م.
• حاشية أبي الفضل القرشي على هامش البيضاوي، مؤسسة شعبان، بيروت، د.ت.
• الحجة في القراءات السبع، أبو عبدالله الحسين بن أحمد بن خالويه، (ت٣٧٠هـ)، ت: عبدالعال سالم مكرم، دار الشروق، ط٣، بيروت، ١٩٧٩م.
• الحمل على المعنى، وأثره الدلالي في القرآن الكريم، دراسة لغوية ونحوية، حسن عثمان، (رسالة ماجستير مخطوطة)، جامعة اليرموك، ٢٠٠٣م.
• خزانة الأدب، ولب لباب لسان العرب، عبدالقادر بن عمر البغدادي، (ت ١٠٩٣هـ)، ت: محمد نبيل طريفي، وأميل يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م.
• الخصائص، أبو الفتح، عثمان بن جنّي (ت ٣٩٢هـ)، ت. محمد علي النّجار، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٥٢م.
• ديوان الخِرنِق بنت بدر بن هِفّان، أخت طرفة بن العبد، رواية أبي عمرو بن العلاء وغيره، ت: واضح الصمد، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥م.

• روافد البلاغة، بحث في أصول التفكير البلاغي، د. سمير شريف استيتية، ضمن "دراسات إسلامية وعربية"، مهداة إلى العلامة فضل حسن عباس بمناسبة بلوغه السبعين، أشرف على إعدادها د. جمال محمود أبو حسان، دار الرازي، الأردن، ٢٠٠٣م.

• روح المعاني، شهاب الدين السيد محمود الألوسي (ت ١٢٧٠هـ)، إحياء التراث العربي، بيروت، (د.ت).

• شرح شذور الذهب، جمال الدين ابن هشام الأنصاري (ت ٧٦١هـ)، ت: محمد محيي الدين عبدالحميد، دار الفكر، د.ت.

• القراءات القرآنية من الوجهة البلاغية، د. فضل حسن عباس، مجلة دراسات، الجامعة الأردنية، العلوم الإنسانية، المجلد الرابع عشر، العدد السابع، ١٩٨٧م.

• الكتاب، لسيبويه، أبي بشر بن عمرو بن عثمان بن قنبر، (ت ١٨٠هـ)، ت: عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٩٨٨م.

• الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري، (ت ٥٣٨هـ)، دار الفكر، ١٩٧٧م.

• لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، د. فاضل صالح السامرائي، دار عمار، الأردن، ١٩٩٩م.

• المحتَسَب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، أبو الفتح عثمان بن جني، (ت ٣٩٢هـ)، ت: محمد عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م.

• معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحاق الزجاج (ت ٣١١هـ)، ت: عبدالجليل شلبي، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٨م.

• معاني القرآن، أبو زكريا يحيي بن زياد الفراء، (ت ٢٠٧هـ)، عالم الكتب، بيروت، ط٢، ١٩٨٠م.

- معترك الأقران، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، ت: علي البجاوي، دار الفكر العربي، د.ت.
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، جمال الدين بن هشام الأنصاري (ت ٧٦١هـ)، ت: مازن المبارك وسعيد الأفغاني، دار الفكر، بيروت، ط٥، ١٩٧٩م.
- المقتضب، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، (ت ٢٨٥هـ)، ت: محمد عبدالخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت، د.ت.
- منازل الرؤية، منهج تكاملي في قراءة النص، د. سمير شريف استيتية، دار وائل، الأردن، ٢٠٠٣م
- نتائج الفكر في النحو، أبو القاسم عبدالرحمن بن عبدالله السهيلي، (ت ٥٨١هـ)، ت: عادل أحمد عبدالموجود، وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢م.
- النحو والدلالة، مدخل لدراسة المعنى النحوي-الدلالي، د. محمد حماسة عبداللطيف، دار الشروق، ط١، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.
- النشر في القراءات العشر، للحافظ أبي الخير محمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن القيم الجزري، (ت ٨٣٣هـ)، ت: علي محمد الضبّاع، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.
- نظرية اللغة في النقد العربي، د. عبدالحكيم راضي، مكتبة الخانجي، مصر، ١٩٨٠م.
- الوسيط في تفسير القرآن المجيد، الواحدي، ت: محمد الزفيتي، القاهرة، ١٤٠٦هـ.

الحواشي السفلية

---

(١) الخصائص ١/٣٥.

(٢) التحول في التركيب وعلاقته بالإعراب، عبدالعباسعبدالجاسم ٢٥.

(٣) نظرية اللغة في النقد العربي، عبدالحكيم راضي ٢٢٣.

(٤) الخصائص ١/٢٨٣-٢٨٤.

(٥) منازل الرؤية منهج تكاملي في قراءة النص، سمير شريف استيتية، ٣٢٤-٣٢٥.

(٦) روافد البلاغة بحث في أصول التفكير البلاغي، سمير شريف استيتية، ٣٢٢، ضمن كتاب "دراسات إسلامية عربية".

(٧) منازل الرؤية منهج تكاملي في قراءة النص، سمير شريف استيتية، ٣٢٧.

(٨) عرضنا هذه التحولات في الإعراب وفق قراءة حفص بن عاصم، وأما تحولات الإعراب في القراءات فهو باب واسع، يشكل دراسة مستقلة بذاته، انظر: التحول في التركيب وعلاقته بالإعراب في القراءات السبع، عبدالعباس عبدالجاسم أحمد، أبو ظبي، المجمع الثقافي، ٢٠٠١م.

(٩) الوسيط في تفسير القرآن المجيد ١/٢٥٢.

(١٠) الكشاف ١/٣٣١.

(١١) انظر: تفسير ابن كثير ١/٢٠٩ وتفسير أبي السعود ١/١٩٤، وروح المعاني ٢/١٤٧.

(١٢) معاني القرآن ١/١٠٥.

(١٣)البيت لـ (خِرْنِق بنت هِفَّان) أخت طرفة بن العبد، انظر: الديوان، ت: واضح العبد، ص: ٣٩، ورواية الديوان (النازلون). وانظر: شرح أبيات سيبويه للسيرافي، ٢/١٤، وخزانة الأدب للبغدادي ٥/٤١.

(١٤) ويروى (الطيبون) بالرفع، انظر: شرح الشواهد للعيني، ٦٠٣/٣، والدرر اللوامع ١٥٠/٢.

(١٥) الكتاب ٦٣/٢-٦٦.

(١٦) انظر: أثر التحويلات الأسلوبية في تغيير الإعراب في الآيات القرآنية والشواهد الشعرية، يحيى القاسم، مجلة أبحاث اليرموك، سلسلة الآداب واللغويات م١١ ع١ ١٩٩٣م، ص ١٤.

(١٧) شرح شذور الذهب، ٥٤، وانظر: الكشاف ٥٨٢/١.

(١٨) انظر: الكتاب ٦٣/٢.

(١٩) معترك الأقران ٣٥٤/١، وانظر: البرهان للزركشي ٤٤٦/٢-٤٤٧.

(٢٠) تعددت أوجه الإعراب في رفع (حمالةُ) على قراءة الرفع، انظر: معاني القرآن للفراء ٢٩٨/٣، ومعاني القرآن للأخفش ٥٤٨/٢، ومعاني القرآن للزجاج ٣٧٥/٥.

(٢١) الحجة في القراءات، ٣٧٧.

(٢٢) قرأ الجمهور السبعة (حمالةُ) بالرفع، وقرأها عاصم وحده نصباً ووافقه ابن محيصن، انظر: البحر المحيط، ٢٥٦/٨، والنشر في القراءات العشر، ٤٠٤/٢، والكشف عن وجوه القراءات، مكي بن أبي طالب القيسي، (ت ٤٣٧هـ)، ٣٩٠/٢، ت: محيي الدين رمضان.

(٢٣) الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحجتها، ت: محي الدين رمضان، ٣٩٠/٢.

(٢٤) أثر التحويلات الأسلوبية في تغيير الإعراب، ٢٠.

(٢٥) انظر: الحجة في القراءات السبع، ابن خالويه، ١٣٧، والبرهان في إعراب القرآن، ١٤٥/٣.

(٢٦) انظر: البيان في غريب إعراب القرآن، ابن الأنباري، ١/٣١٨.

(٢٧) القراءات القرآنية من الوجهة البلاغية، فضل حسن عباس، ٤٧، مجلة دراسات العلوم الإنسانية، الجامعة الأردنية، م١٤، ع ٧، ١٩٨٧م.

(٢٨) الكتاب، ٣/٤٤.

(٢٩) البرهان في إعراب القرآن، الميقري، ٣/١٤٥.

(٣٠) التفسير القيم، ابن القيم، ت: الندوي، ٢٣٥.

(٣١) انظر: الحجة في القراءات السبع، ابن خالويه، ١٣٧، والبيان في غريب إعراب القرآن، ١/٣١٨، والبرهان في إعراب القرآن، ٣/١٤٥.

(٣٢) انظر: القراءات القرآنية من الوجهة البلاغية، فضل عباس، ٤٧.

(٣٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه المنسوب للزجاج، ١/٢٢٦، معاني القرآن، الفرّاء، ٣/١٥٤.

(٣٤) أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، ٢٠٥، وانظر: تفسير القرطبي، ٩/٦٣.

(٣٥) الكشاف، ١/٤٨.

(٣٦) حاشية الكشاف، ١/٤٨.

(٣٧) نتائج الفكر في النحو، السهيلي، ت: عادل عبدالموجود، ٣١٩.

(٣٨) منازل الرؤية منهج تكاملي في قراءة النص، ٣٢٥.

(٣٩) انظر في ذلك: المحرر الوجيز، ٢/٦٤، ٢٢٩-٢٣٠، والبحر المحيط، ٢/١٣-١٤، والدر المصون، ١/٤٥٢، والتوجيه البلاغي للقراءات، ٩٦.

(٤٠) منازل الرؤية منهج تكاملي في قراءة النص، ٣٢٥-٣٢٦.

(٤١) التحرير والتنوير، ١٠/٢٠٥.

(٤٢) حاشية أبي الفضل على هامش البيضاوي، ٣/٩.

(٤٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، ١/٤٨٨، والكشاف، ١/٤٣٩.

(٤٤) الكشاف، ٣/١٠٦، يقول الفرّاء في معاني القرآن، ٢/٢٧٨: "ويضيقُ صدري مرفوعة؛ لأنها مردودة على (أخافُ) ولو نُصبتْ بالردِّ على (يكذبون) لكانت نصباً جواباً، والوجه الرفع؛ لأنه أخبر أن صدره يضيق، وذكر العلّة التي كانت بلسانه، فتلك ممَّا لا تخافُ؛ لأنها قد كانت".

(٤٥) الكشاف ٣/٦، وانظر: معاني القرآن للفرّاء، ٢/٢١٦.

(٤٦) معاني القرآن ١/٣٨٠.

(٤٧) الكشاف ٢/٨٢.

(٤٨) التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية ١٣٢، وانظر: المحتسب لابن جني ١/٣٦٤.

(٤٩) الكتاب سيبويه ٢/١٥٥-١٥٦، ٦٦١، وانظر: معاني القرآن، الفراء ١/٣١١.

(٥٠) ديوان الشاعر، ت: صلاح الدين الهواري، ٢١٩، ووردت في الديوان (بغاة ما حيينا).

(٥١) الكشاف ١/٦٣٢.

(٥٢) انظر: سر تقديم الصابئين على النصارى في آيتي الحج والمائدة، وتقديم النصارى عليهم في آية البقرة كُلاًّ من: درة التنزيل للخطيب الإسكافي ١/١١، والبرهان في متشابه القرآن، الكرماني، ٣٧/٣٨.

(٥٣) حاشية الكشاف ١/٦٣٢.

(٥٤) المصدر السابق الصفحة نفسها.

(٥٥) الكتاب ٣/١٠٠-١٠١.

(٥٦) الديوان، ١٣٨، ت: محمد حمود، ورواية الديوان (ولا سابقاً).

(٥٧) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ٦٢٠.

(٥٨) الكشاف ٤/١١٢.

(٥٩)انظر: كلام أبي حيان في التفريق بين عطف التوهم والعطف على المحل البحر المحيط ٨/٢١٧، ٢٧٥.

(٦٠) انظر: المقتضب للمبرد ٢/٣٣٩، ٤/٣٧١.

(٦١) معاني القرآن ٣/١٦٠، وانظر: الحجة في القراءات لابن خالويه ٣٤٦.

(٦٢)منازل الرؤية، منهج تكاملي في قراءة النص ٣٢٨-٣٢٩.

(٦٣) لمسات بيانية في نصوص من التنزيل فاضل السامرائي ١٩١.

(٦٤) قرأ من السبعة بالجر و "حورٍ عين"، حمزة والكسائي، وقرأ الباقون، بالرفع انظر: النشر في القراءات العشر لابن الجزري ٢/٣٨٣" ونحن معنيون هنا بقراءة حفص عن عاصم وقد قرأ بالرفع.

(٦٥) الكتاب ١/٢٢٨، وانظر: معاني القرآن، للفراء، ٣/١٢٣-١٢٤.

(٦٦) الحمل على المعنى وأثره الدلالي في القرآن، حسن عثمان ص ٧٤، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، مخطوطة ٢٠٠٣.

(٦٧) قرأ بالنصب (ولؤلؤا) نافع وعاصم، وقرأ بقية السبعة بالجر. انظر: الكشف عن الوجوه القراءات السبع، ٢/١١٧-١١٨.

(٦٨) انظر: البيان في غريب إعراب القرآن ٢/١٧٢.

(٦٩) انظر: الكشاف ٣/١٠، والتبيان في إعراب القرآن ٢/٩٣٨، والبيان في غريب إعراب القرآن، ٢/١٧٢.

(٧٠) التحول في التركيب وعلاقته بالإعراب في القراءات السبع عبد العباس أحمد ١٨٤.